

مظاهر التجريب والحداثة في الرواية الجزائرية

– رواية "البيت الأندلسي" لواسيني الأعرج نموذجا –

Experimentation and Modernity Features in the Algerian Novel –Waciny Laradj “The Andalusian House” Case Study-

غنية بوبيدي* مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

جامعة باتنة 1 - ghania.boubidi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال	2019/12/20م	تاريخ القبول	2020/02/26م
---------------	-------------	--------------	-------------

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة إشكالية التجريب في الرواية الجزائرية المعاصرة، التي تدعو إلى تجاوز الشكل التقليدي، والتي تسير التطورات الحاصلة في المجتمع والأدب على حد سواء إلى أن تغيرت جذريا على مستوى الشكل والمضمون، وذلك من خلال الكشف عن التقنيات الجديدة التي استعملها الروائي "واسيني الأعرج" في روايته "البيت الأندلسي"، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي لقراءة المتن الروائي والبحث فيه عن مظاهر التجريب والحداثة. توصلت الدراسة إلى أن التجريب في الرواية هو إبداع وخلق عوالم جديدة ومواضيع تستجيب لروح العصر، فقد عمل الروائي المعاصر على تجسيد تقنيات الرواية الجديدة مختلفة عن تقنيات الرواية التقليدية، كما تتجلى مظاهر التجريب في رواية البيت الأندلسي على مستوى العنوان باعتباره الموضوع والإيديولوجيا، المكان، ومستوى الشخصيات الروائية.

الكلمات المفتاحية: التجريب؛ الحداثة؛ الرواية الجزائرية؛ الرواية الجديدة؛ واسيني الأعرج

Abstract

The present study aims at discussing the concept of experimentation in the contemporary Algerian novel, that goes beyond the traditional form, until it radically changed the form and content, revealing the new techniques used by the novelist “Waciny Laradj” in his novel “Andalusian house” by using the descriptive analytical method and searching for features of experimentation and modernity. Most important results are that experimentation in the novel is the creation of new worlds and new topics for this time. Therefore, the contemporary novelist embodied the difference between new novel techniques and traditional ones. Experimental aspects are also reflected in the novel of “Andalusian house” at the level of title, topic and ideology, place and level of fictional characters.

Keywords: experimentation; modernity; Algerian novel; the new novel; Waciny Laradj

* المؤلف المرسل

1. مقدمة

تعد الرواية من أحدث أنواع الفنون النثرية التي عرفها العرب، إذ نجدها تحظى بشعبية كبيرة والأكثر رواجاً وتأثيراً على المتلقي، لأنها تعبر عن اهتمامات الجنس النثري، وقد شهدت تطوراً كبيراً وسريعاً واکب حركة التطور وتطابق مع معايير الخطاب الحديث.

أصبحت الرواية المعاصرة أو ما يطلق عليها اسم "الرواية الجديدة" أو "الرواية التجريبية" مادة خصبة للدراسة، حيث تهب نفسها للمتلقي في توافق وانسجام كلي مما يجعلها مادة أثيرة في الدراسات الجديدة وميدانا لتطبيق النظريات الحديثة، فغاية الفن الروائي التجريبي هو تجاوز الشكل القديم والتقليدي للرواية، وذلك من أجل مسايرة التقدم الحاصل في مجال الآداب عامة والرواية بشكل خاص، وقد عدت الرواية التجريبية من أكبر تجارب الإبداع العربي في العصور الحديثة، وهي الرواية التي خطت خطوة كبيرة متجاوزة التقنيات السابقة، فكانت أول تجربة روائية عند العرب بسبب التأثير بالآداب الغربية لذلك تعددت أشكال الفن السردى وظهور عدّة صور فأبدعوا في هذا المجال، وشهدت الرواية الجزائرية كغيرها من الروايات العربية بروز هذا الشكل الروائي، وسعت لتجاوز القوالب القديمة والخروج مما هو مألوف وسائد، وساعدها في ذلك التجريب كونه من الأشكال الفنية الجديدة التي تسمح بحدوث قفزة نوعية في مجال الرواية، وأصبح الروائيون الجزائريون مسكونين بهاجس الإبداع والتجديد والبحث المستمر عن أشكال فنية جديدة، التي بإمكانها أن تخرجهم من الراهن والمألوف، وتجعل كتاباتهم الجديدة تختلف عما سبق، وهذا ما جعل الرواية الجزائرية المعاصرة منفتحة على مختلف مظاهر التجديد والتجريب. ولقد خاض العديد من الروائيين الجزائريين غمار التجريب وساهموا في ظهور الرواية التجريبية، ومن بين هؤلاء نجد: الروائي الكبير واسيني الأعرج، الذي كانت له

العديد من التجارب الروائية في الرواية الجديدة، ورواية البيت الأندلسي تمثل أنموذجا للرواية الجزائرية المعاصرة.

أهمية الدراسة وأهدافها

تنبع أهمية هذه الدراسة في كونها تسعى للكشف عن ماهية التجريب في الرواية الجزائرية، وعن التقنيات الجديدة التي استعملها الروائي الجزائري "واسيني الأعرج" في روايته "البيت الأندلسي".

تهدف هذه الدراسة إلى

- بيان مفهوم التجريب والحدثة في الرواية الجزائرية.

- بيان مظاهر التجريب في رواية البيت الأندلسي لـ«واسيني الأعرج».

إشكالية الدراسة

ما مفهوم الحدثة؟ ما مفهوم التجريب؟ ماهي التقنيات الجديدة التي استعملها الروائي "واسيني الأعرج" في روايته "البيت الأندلسي"، وما ملامح التجريب فيها؟

الدراسات السابقة

من أبرز الدراسات التي تناولت موضوع التجريب الروائي، والتي استعنت بها

لفهم الموضوع وكتابة هذا المقال ما يلي:

- بنية سليمة، الرواية الجديدة (أحلام مستغانمي، أنموذجا)، مذكرة لنيل

شهادة ماجستير، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، بسكرة، 2007.

- حنان شاوش أخوان، ملامح التجريب في رواية، فاجعة الليلة السابقة بعد

الألف لواسيني الأعرج، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص نقد أدبي،

كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة.

- عبد العزيز ضويو' التجريب في الرواية العربية المعاصرة، دراسة تحليلية
لنصوص روائية حديثة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014م،
ص 281.

منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لأن طبيعة الموضوع
مرهون بفعل القراءة التحليلية المسؤولة إلى حد ما عن إعطاء القيم الأدبية للنص
الأدبي أو سحجها عنه، وذلك ما سنحاول الوقوف عليه من أجل فهم أكثر في قراءة
الرواية العربي الجزائرية وبالتحديد رواية "البيت الأندلسي لـ" واسيني الأعرج"،
والبحث فيه عن مظاهر التجديد والتجريب التي وظفها الروائي الجزائري المعاصر.

الصعوبات

لأبد أن تواجه أي دارس في علم من العلوم جملة من الصعوبات والعراقيل
الناجمة عن طبيعة بحثه الذي يتناوله بالدراسة، وقد اعترضت سبيل البحث
جملة من الصعوبات، من أهمها:

- ضخامة الرواية.

- النقص الحاصل في الدراسات النقدية التي اهتمت بموضوع التجريب في
الرواية المعاصرة.

2. تحديد مفهوم التجريب والحداثة في الرواية الجزائرية

1.2 مفهوم التجريب

لقد استجابت الفنون الأدبية إلى التغيرات التي حصلت في البنى السياسية
والاجتماعية والثقافية والاقتصادية...، لأن حركة الإبداع والتجديد مرهونة
بالتطورات الحاصلة في المجتمع، هذه الحركة جعلت الكتاب والنقاد يهتمون
بالتجريب، الذي جعل الشكل الروائي أكثر انفتاحا وقادرا على الاستجابة لتطورات
الحاضر، ولكن التجريب لم يستقر على مفهوم واحد، فمفهم من يعرفه بأنه

الخروج عن النموذج الثابت وتجاوز الأشكال التقليدية فهو: «نقض المسلمات الجامدة والتقاليد الثابتة والأعراف الخانقة وصياغة السؤال وممارسة حرية الإبداع في أضحي حالاتها» (بن جمعة، 2003م، ص31)، فالسؤال يدمر سلطة السائد القديم بالبحث عن إجابات جديدة، وبذلك يبحث الأديب والمبدع عموماً عما يحقق له التفرد والتميز «فالجديد أفق كتابة يصدر عن هاجس التجديد الذي لا يتحقق إلا عبر التحرر من إसार السائد، مما يجعله يمثل شكلاً من أشكال تكريس حرية المبدع الروائي من خلال ثورته على الأشكال النمطية في الكتابة الروائية» (بن جمعة، 2003م، ص 10).

إن التجريب هو فرصة لإبراز الطاقات التعبيرية الكامنة في الأديب، مما يجعل الرواية أكثر مرونة وحرية وقادرة على الاستجابة لتطورات الحاضر ويظهر ذلك في «رفض الأساليب الفنية القديمة ومحاولة البحث عن أسلوب جديد قادر على استيعاب رؤية الفنان المعاصر لعالمه والتعبير عن التجربة التي تميز عصره لأن الأشكال القديمة لا تلاءم التعبير عن روح العصر وفلسفته» (الرماني، 2012م، ص11)، فالتجريب بهذا المعنى إعادة بناء وفق مخطط جديد لكسر ما هو سائد وتقليدي وفتح المجال لأفق إبداعي جديد.

يقول الدكتور "فراس الريموني": «نعني بالتجريب هنا هو فعل التغيير الذي يتواصل مع العصر ولحظة الزمن وذلك من خلال إعادة البنية التركيبية للأطر التقليدية التي جمدت حركة الإبداع والتواصل إلى تجارب القرن الماضي وصولاً إلى بداية، ستجعلنا داخل قرن جديد مؤدلج بالتجارب واختراق كل ما هو سائد ومجمد» (الرماني، 2012م، ص 09).

والتجريب قاعدته الاختلاف والتمرد، فليس هناك قاعدة تحدد تقنياته، فرأي كثير من النقاد أن التجريب الأدبي أداة لتطوير فنون الأدب وهو بمثابة ثورة

قائمة تجعل الأديب ينطق عن المسكوت عنه، وغالبا ما يحمل مصطلح التجريب دلالة على الرغبة في التفوق ومخالفة السائد بإضافات جمالية تؤصل ما قبلها وتؤكد مزيته باستيعاب الجديد، والمعرفة على هذا النوع هي أرقى مستويات التجريب الإبداعي.

2.2 مفهوم الحدائثة

تعددت مفاهيم الحدائثة بتعدد آراء الكتاب والنقاد، وباختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، ومن هؤلاء نجد رأي "فتحي التركي" و"رشيدة التركي" من خلال رؤيتهم أن المعنى الأساسي للحدائثة يكون من خلال «استنطاق المفهوم في بنية ونمط عمله ومستنتاجاته الفكرية» (التركي، 1992م، ص 05)، فمفهوم الحدائثة انبنى أساسا على مفهوم التغيير الحضاري الشامل في نسيج صانع لملاحج التجربة قوامها التحول المستمر وهذا ما نتج عنه فتح حركة تاريخية تستند إلى هذا التغيير وترفض الوعي به.

فالحدائثة هي مجموعة من المستجدات في المعارف الأدبية والفنية والممارسات الإبداعية «كما أن مفهومها حركي يتغير بتغير الأجيال، ولا يمكن أن يتصف به جيل دون آخر أو أمة دون أخرى. إن الحدائثة هي الحالة الناتجة عن تطور زمني يسمح بالوضع القائم المتجدد تلقائيا أن يعبر بشكل أو بآخر عن روح العصر أي حضور الأنا على صعيد الإبداع الفني» (التركي، 1992م، ص 33)، إذن لكل عصر متطلباته واحتياجاته، فالحدائثة مرتبطة بالزمن الذي هو في حركة مستمرة، فما هو حديث اليوم يصبح قديما في الغد «فالحدائثة حالة فكرية ذات سمات عامة حتى وإن صح قول ذلك في معرض آخر وهي ترادف معنى المنظومة الفكرية التي تجاوزت فيها نزاعات يرد بعضها إلى بعض» (بلقزيز، 2001م، ص 04). كما أن مفهوم الحدائثة يتحدد ويقترّب من التجريب، لأنه ينبع من خصائصها الذاتية المتميزة، وذلك برفض الأشكال السائدة ونبذ القواعد المتحكمة

في جنس الرواية، ذلك أن ملمح الحداثة في الرواية يتجلى في النزوع إلى التجريب الذي وضع الكتابة الروائية الجزائرية في موضع تساؤل، فهي قادرة على الاستجابة لعمق الواقع وتحولاته التي لا تستطيع الكتابة التقليدية التعبير عنه، فالهوس بالتجريب يعتبر من الملاح الأساسية للرواية التي تولد عند هوس بالحداثة وكل ما يرافقهما من مفاهيم كالقطيعة والتجاوز والمغايرة.

من هنا لا نستطيع التفريق بين التجريب والحداثة نظرا لارتباطهما ببعضهما البعض ولا يكتمل أحدهما دون الآخر، فالتجريب هو خرق للسائد والأعراف المتعارف عليها، مما يتولد عنه حداثة تعبر عما توصل إليه وما استجدّ وما طرأ من تغيرات، مما يجعل الأديب يستحدث أشكالاً وموضوعات جديدة في سبيل تجريبها، فهو يعبر عن تجربة شعورية وذاتية خالصة، يسعى من خلالها إلى الحرية وتحطيم أغلال التقليد وكل ما هو قديم على حد سواء.

3.2 سردية التجريب وحداثتها في الرواية الجزائرية

إن السرد الروائي الجزائري المكتوب باللغة العربية يتجسد من خلال ارتحاله الدائم في الزمان والمكان، مما يجعل الرواية تكتسب سماتها الأدبية الدالة «فالسرد أفق كتابة يسكنه هاجس الترحال إلى آفاق من التشكيل لا تحدّ، من خلال لغة لا تتجاوز الكائن من الصيغ والأساليب والدلالات إلى الممكن في توقعها إلى اختراق طاقات الكامن فيها» (بن جمعة، 2003م، ص 18)، وذلك من خلال اختراق السائد السردى والبحث عن أفق حداثي مغاير يواكب التطورات الحاصلة في التجربة الروائية، ومثّلت في الآن ذاته السمات المفيدة الدالة على انزياحات هذا النوع من الكتابات على مستوى خصائصه الفنية والجمالية، وهو ما أدى إلى أسئلة على المتن والأنساق السردية ضمن مسالك البحث وتجريب الأشكال من السرد الروائي ذات طابع حداثي، تكون قادرة على تجاوز النمط التقليدي،

«فخضوع التحديث في الرواية العربية لمنطلق التجريب يجعل الروائيين ينطلقون في مناح عديدة بحثا عن تقنيات جديدة مما يفرز تنوع التجارب وتباينها» (ضويو، 2014م، ص 281) وفي هذا الصدد اطلع الروائيون الجزائريون على نماذج عديدة تنتمي إلى الآداب الفرنسية والإنجليزية والإسبانية، مما أدى إلى تحول السرد من أنماط الكتابة التي تستعيد الماضي التاريخي خلال مرحلة النضال التحرري، ليسير هؤلاء الروائيون على أنماط جديدة من الكتابة التي تركز أساسا على الواقع، «وذلك باختراق عمودية السرد والانزياح عنها على كافة مكونات الخطاب (الزمن، الرؤية، الصيغة...)» (بن جمعة، 2003، ص 103-104).

هذا التجريب يعكس الأشكال التعبيرية الجديدة في الممارسة الروائية، والمرحلة التاريخية الصعبة للجزائر، التي تميزت بالتحويلات والتطورات، وهو ما يفسر تعدد الاتجاهات الفكرية، والفنية، والجمالية التي شهدتها الرواية الجزائرية التجريبية.

وقد أسس "الطاهر وطار" فعلا وبطريقة ثابتة وواضحة لمفهوم التجريب، من خلال اختراق السائد السردى وثوابته، فيقول: «وقد خرجت من تجريبي في الكتابة بخلاصة وهي أن الالتزام بشكل معين حتى بدعوى رفض الأشكال القديمة هو الوقوع في محافظة جديدة، الكتابة بداية جديدة، ميلاد، كل له عالمه وتفاعله وعناصره، المسألة ليست ميكانيكية» (بن جمعة، 2003م، ص 103-104).

وقد ظهرت ملامح التجديد والتجريب كظاهرة فنية مع رواية "الحوات والقصر"، وذلك على مستوى اللغة والأفكار معا، وهو تحرر فني وسردى للرواية، مع إضافته لعنصر العجائبي الذي أضحي عنصرا أساسيا من عناصر التجريب السردى الروائي.

لذلك يعد "الطاهر وطار" رائدا في محاولته إنعاش وإنقاذ الرواية الجزائرية من مشكلة الموضوعات المرحلية والرؤى والمواقف النقدية، محاولا وضع قواعد

لرواية جديدة «فالعامل الحقيقي لا يحتويه شكله المحدد بل سلسلة تقريبات تصاغ للوصول إليه، هي الجهد الذي يبذله في الكتابة كأداة معرفية، وأدرك مدى أهمية الأنساق السردية في الاقتراب من الفكرة والمعنى، وفي تقريب اللغة من الإحساس، والإحساس من اللغة السردية» (بوطاجين، 2001م، ص36)، وهذا ما يتحقق بمعرفة سر اللغة التي تعتمد على التكثيف والإيحاء.

وفي ظل الهوس بالحدثة حاولت الرواية الجزائرية الجديدة تجريب تقديم سرد استثنائي مخالف للقوالب القديمة السائدة، فالتجريب على هذا النحو هو الخبرة الفنية التي هي الأساس الذي يتجلى من خلال اندماج الأديب على نحو مباشر بالعمل الفني ومع ذاته، وملامسته للواقع ونزعته التجريبية الباحثة عن أفق حدائي.

لقد شهد السرد الروائي منذ بدايته الأولى عدة تغيرات مفصلية، مما أعطى الرواية طابعا روائيا متميزا، مما يؤكد بوضوح النضج الذي وصل إليه السرد في الرواية التجريبية.

3. مظاهر التجريب في رواية "البيت الأندلسي" لواسيني الأعرج

يعدّ الروائي الجزائري "واسيني الأعرج" متميزا بكتاباتة، وذا رؤى وأفكار معاصرة، فلا حدود لغوية أو سياسية، فهو من الأوائل الذين حاولوا التجريب في كتاباتهم الروائية، وخرق النمط التقليدي السائد، فهو خزان عميق الأفكار متعدد الرؤى، وتظهر ملامح التجريب في رواية "البيت الأندلسي" من خلال مجموعة مستويات تتمثل في: مستوى العنوان، مستوى الموضوع والإيديولوجيا، مستوى المكان، مستوى الشخصيات الروائية، على المستوى الفني.

1.3 على مستوى العنوان

يُعدّ العنوان من أهمّ المرتكزات التي تقوم عليها الرواية، فهو بمثابة المفتاح الذي يلجأ إليه القارئ للولوج في أغوار الرواية «العنوان... تلك العلامة اللغوية التي تتقدم النص وتعلوه، ويجد القارئ فيها ما يدعوه للقراءة والتأمل ويطرح من خلالها على نفسه أسئلة تتعلق بما هو آت والمبني على ترسّبات الماضي ويصنع لنفسه منها أفقا للتّوقع» (مداس، 2007م، ص04).

وتتجلّى تجرّيبيّة العنوان عند الروائي " واسيني الأعرج " من خلال منحه تأصيلاً ودلالة، حيث ربط بين الماضي " التاريخ " والحاضر من خلال هذا العنوان، فهو يعبرّ من خلال الماضي عن قضايا العصر، وقد ربط بين مسند ومسند إليه " البيت الأندلسي " فهي تتركّب من كلمتين: " البيت " وهو المكان والفضاء الذي تنطلق منه الأحداث وتدور فيه مجريات الرواية، و " الأندلسي " الأندلس هي لفظة تطلق على إسبانيا عندما كانت دولة إسلاميّة، بإضافة ياء التّسببة، فهو ينسب هذا البيت إلى الأندلس، بالرغم من تواجده في الجزائر (القصبة).

إنّ عنوان " البيت الأندلسي " متعدّد الإيحاءات، فهو يدلّ على مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر، بكلّ سلبيّاتها وتناقضاتها. فعند الغوص في الرواية ندرك بأنّه نسب البيت للأندلس، لأنّه يشبه البيت الموجود في الأندلس لهذا سُمّي البيت الأندلسي. فالعنوان جاء في الرواية كهيئة إنسان أو كائن حيّ، عرف مراحل حياتيّة مختلفة، من ميلاده إلى وفاته، كما نجد في الرواية " مات البيت الأندلسي " (الأعرج، 2010م، ص 439).

إنّ العنوان في الرواية هو العنصر الذي يُحدّد هويّتها، ليتحوّل إلى منبّه يثير القارئ، والأعرج لم يكتف بالتجريب على مستوى العنوان الأصلي فقط، بل جرّب حتّى على مستوى العناوين الفرعيّة التي أصبحت من خصائص أعمال واسيني الروائيّة، فهي تحمل تصوّراً جديداً للكتابة الروائيّة وطريقة فنيّة متميّزة، فهو قد

رسم هذه الرواية على خطة ارتبطت بتقنيات الكتابة الجديدة، فنجد عدّة عناوين فرعية وهي كالآتي:

- استخبار ما سيكا.
- توشية مراد باسطا.
- الفصل الأول: نوبة خليج الغرباء
- الفصل الثاني: وصلة الخيبة
- الفصل الثالث: إيقاعات الحرف السري
- الفصل الرابع: في مقام الرماد
- الفصل الخامس: لمسة ما سيكا الناعمة.

هذه العناوين انتقاها ووضعها "واسيني" لتشدّ انتباه القارئ وتُغويه، فقد ارتبطت بمقاطع موسيقية أندلسية، فاستفتحها باستخبار "ما سيكا" وعرفه في نهاية الصفحة بأنه «قطعة موسيقية أندلسية افتتاحية صغيرة، وهي مقدّمة لما سيأتي لاحقاً، القصد من ورائها شدّ انتباه المستمع وإدخاله في الموسيقى تعزف فردياً بآلة وترية واحدة أو جماعياً بمختلف الآلات» (الأعرج، 2010م، ص 07)، ورتّب هذه العناوين على منوال الأغنية الأندلسية "استخبار توشية، نوبة وصلة" وشرحها في نهاية الصفحة، وهذا ما أحدث تناغماً وانسجاماً، وكأنّ الرواية مقطوعة موسيقية أندلسية تعزف، وتندرج تحت هذه العناوين الفرعية أوراق، فواسيني الأعرج قد أشار إلى أنّ القارئ يستعرض لأوراق غاليلو ولهذا أشار إلى ذلك: «من أوراق سيدي أحمد بن خليل المدعو غاليلو» (الأعرج، 2010م، ص 61).

فهذه العناوين الفرعية لا تختلف وظيفتها عن العنوان الرئيسي، فهي تحيل القارئ على مضمون الرواية، فهي تعتمد على قدرة واسيني على الإيحاء والتلميح، من خلال تراكيب لغوية بسيطة، فيظهر لنا العنوان بسيط المبني لكن عميق المعاني، فرغم بساطتها فإنها تحمل في طياتها معاني ضمنية قد تتشعب وتتعمق لتمسّ أعماق نقطة في مخيلة القارئ أكبر قدر من الأحاسيس والمشاعر، فهي قد تكون تعبيرا مباشرا لتوجهات الكاتب ورؤيته سواء كانت: إيديولوجية، تاريخية، ثقافية... الخ.

إذا العنوان لم يأت بمحض الصدفة، فقد كان مدروسا بدقة، فهو انعكاس حقيقي لمضمون الرواية. وبذلك ندرك أنّ التجريب على مستوى العنوان عند واسيني الأعرج قد انفتح على قيم تاريخية وجمالية، وفنية... الخ، فالعنوان قد ربط بين فترتين زمنيّتين مختلفتين، فنفهم من خلال ذلك أنّ رواية " البيت الأندلسي " ذات عنوان تاريخي يُحاكي الماضي بأفق ورؤى معاصرة، تمسّ الواقع وتحاكي الوقائع والأحداث في الوطن العربي.

إنّ البيت الأندلسي لم يكن مجرد بيت عائلي فحسب، وإنّما كان الوطن نفسه الذي يحنّ إليه الكاتب.

2.3 على مستوى الموضوع والإيديولوجيا

تدور أحداث هذه الرواية حول " البيت الأندلسي "، الذي هو مركز وأساس الرواية، فهو بمثابة القاعدة الإيديولوجية التي انطلقت منها الرواية «لو لم تكن الإيديولوجيات موجودة أو انتهت سيُصبح العالم بلا معنى والحياة ستصبح بلا هدف ولا تستحقّ أن تُعاش» (ضرغام، 2010م، ص 18).

لقد انطلق واسيني الأعرج من قناعاته التامة ووجهة رأيه، وإيماننا بموضعه وقضيّته التي تطرّق إليها. فنجد أنّه استهلّ روايته بمقولة: «إنّ البيوت الخالية

تموت يتيمة» (الأعرج، 2010م، ص 05)، وهي مقولة لغاليلو الروخو، كما نجد أنّه وظّف بيتا شعريّا لأبي البقاء الرّندي:

«وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان»

(الأعرج، 2010م، ص 05)

من خلال هذه المقولة والبيت الشعري يلج واسيني الأعرج إلى الموضوع، ويتطرق إليه، فكلاهما تحدّث عن "البيت"، و"الدار". فموضوعه تجريبي بحث، وهذا نظرا للحريّة التّامة التي ينعمُ بها الكاتب في اختيار موضوعه وإيمانه بصدقها، فالبيت الأندلسي يحيل إلى حقبة من تاريخ المسلمين في الأندلس، وتطرق إلى الفظاعة الإنسانية التي تعرّض لها المسلمون واليهود في اسبانيا من تنكيل ومعاناة، وعمليّات التّرحيل الجبريّة من اسبانيا إلى الجزائر، ومن الذين رخلوا عنوة "غاليلو الروخو" الذي مكث بالجزائر، وقام ببناء هذا البيت الأندلسي، وهو البيت الذي تمنّاه هو ولألة سلطنة، ويُشبه البيت الموجود في الأندلس، فقد بناه في القصبّة. ورث هذا البيت والمخطوطة "مراد الباسطا"، حفيد غاليلو، هذه المخطوطة عبارة عن «كتاب تحرك بين أيد يمكن عدّها على رؤوس الأصابع حتى وصل إليّ مليئا بالغموض والخوف وأحيانا بالدم والرّماد» (الأعرج 2010م، ص 49)، هذه المخطوطة فيها تاريخ المسلمين في الأندلس. وقد أوصى "غاليلو الروخو" أحفاده بالمحافظة على هذا البيت: «حافظوا على هذا البيت فهو من لحي ودمي. ابقوا فيه ولا تغادروه حتّى ولو أصبحتم خدما فيه أو عبدا» (الأعرج، 2010م، ص 43)، وبعد ذلك تحاول البلديّة هدم البيت لتشيّد مكانه برج بمائة طابق، ولكن "مراد الباسطا" ظلّ متمسّكا به، رافضا بيعه أو التّخلّي عنه، فهو بيت أجداده منذ القرن السّادس عشر، وبعد ذلك يقوم "حسن الخزنّاجي" بشراء البيت الأندلسي لابنته "خدّاج العمياء"، ويهديه لها فينسى البيتُ اسمه الأصليّ ليتحوّل إلى "المحروسة".

وفي فترة الاستعمار الفرنسي يتحوّل البيت إلى البلدية ثمّ مكانا لإقامة نابليون الثالث وزوجته. أما في فترة الاستقلال فيتعرض البيت لحريق هائل، فتدخل ما سيكا البيت لإنقاذ المخطوطة.

ولكن في نهاية المطاف تقوم البلدية بهدمه رغم كل المحاولات لإنقاذه، ويصور لنا الكاتب كيف هُدم البيت الأندلسي بفضاعة وبشاعة رغم أنّه يُمثّل تراثا إنسانيا، فقد «كانت الآلة تعريّ البيت الأندلسي كمن يُعريّ جسد المرأة لاغتصابها» (الأعرج، 2010م، ص 441). فتكون بذلك نهاية البيت الأندلسي وموت حلم "غاليلو" في المحافظة عليه «مات البيت الأندلسي ودفنت به أصدائه» (الأعرج، 2010م، ص 439).

إنّ البيت الأندلسي رمز للحب والمعاناة في آن واحد، وموضوع الرواية ليس البيت فقط، وإنّما يعبر عن الوطن الضائع الذي سلب من أيدي مسلمو الأندلس، وهو يعبر عن الألم والمعاناة التي تعرّض لها المسلمون بعد سقوط الأندلس والإبادة التي تعرّض لها البيت الأندلسي وأشكال التّطهير العرقي التي تعرّض لها المورسكيون.

إنّ التّجريب عند الروائي "واسيني الأعرج" هو التّخيّل انطلاقا من عنصر الواقع، ممّا يحمّل الموضوع شحنات شعوريّة وجماليّة، فموضوعه يُحاكي ما يحدث اليوم في الوطن العربي من ثورات واستعمار، فالروائي أعاد صياغة هذا الموضوع التاريخي ليُسقطه على الحاضر.

3.3 على مستوى المكان

يُعدّ المكان عنصرا أساسيا في العمل الروائي، فهو الإطار الذي تدور فيه الأحداث وتتحرك فيه الشّخصيات، فهو «عنصر فاعل ومكوّن جوهرى للرواية، فلم يعدّ المكان موقعا للحدث ولا بُعدا جغرافيا لحركة الشّخصيات، ولكنّه تجلّى في كثير من الأعمال الروائية بطلا رئيسيا ينطلق المؤلّف من خلال بلورة أفكاره

وتوضيح وجهة نظره» (شعبان، 2004م، ص 277). فالمكان هو الذي يجعل المتلقي يندمج مع أحداث الرواية ويتفاعل معها.

ويتجلى التجريب على مستوى المكان في رواية " البيت الأندلسي " من خلال إشراكه كعنصر أساسي بل ورئيسي لا تستطيع الرواية التخلّي عنه. فالمكان يحمل تجارب تاريخية واجتماعية، وفنية... الخ، فواسيني الأعرج زاوج بين المكان والواقع ممّا شكّل أدبا حقيقيا، وعبر عنصر المكان تجاوز الواقع من خلال تجسيد الحياة في حدّ ذاتها وبكل ما تحمله من أبعاد تاريخية واجتماعية... الخ.

إنّ التجريب عند واسيني الأعرج جعل المكان محلّ الشّخصيّة الروائيّة واستغنى عن الشخصيات بالوصف الحيادي للمكان الذي جعله في المرتبة الأولى عكس الرواية التقليدية التي جعلت المكان في المرتبة الثانية.

المكان في هذه الرواية يحمل أبعادا تاريخية ودينية ونفسية... الخ، لتصبح له السيادة باعتبار أنّ الروائي ينطلق منه.

المكان عنصر فني اختاره واسيني الأعرج بوعيه، فلا يمكن القول بأنّه عبارة عن مكان وفقط، بل هو ضروري لحيوية الرواية، فلا بُدّ أن يكون لكل حدث مكان خاص يقع فيه، ونجد واسيني قد اختار أماكن حقيقية في روايته، ومن بين الأمكنة التي اختارها الروائي بعناية نذكر:

أ- البيت الأندلسي وهو الفضاء الذي تنطلق منه الأحداث وتدور حوله، وقد اختاره واسيني الأعرج كعنوان رئيسي لهذه الرواية، يمثّل مفتاحها ومسرح الأحداث فيها، ويُمثّل رمزا للمعاناة بعد أن كان رمزا للحياة والحبّ. يعيش فيه غاليلو مع حنّا سلطانة، ورثه الأحفاد بعد وفاته.

«البيت الأندلسي كان في صلب الطريق الجديد...» (الأعرج، 2010م، ص 23)

«من ساعة ما سكننا هذا البيت وأنا مذعورة...» (الأعرج، 2010م، ص 45)

«كانوا يستعدون لزيارة البيت الأندلسي مع معلمتهم...» (الأعرج، 2010م، ص 57)
ب- الأندلس رمز للسقوط والهزيمة، وهو بلد إسلامي يمثل الحضارة الإسلامية، تعرض للسقوط والضياع من أيدي المسلمين، وفي هذا المكان كان الظلم والمعاناة يمارسان في حقّ المورسكيين.

وبعد سقوط الأندلس من أيدي المسلمين تحوّل اسم هذا البلد إلى اسبانيا التي صار حكامها يمارسون أنواع التعذيب ضدّ المورسكيين.

«اندس القسم الأكبر من المسلمين في المدينة وما حولها، عدا جموع المدجنين في بلنسية في شرقي الأندلس، وفي سرقسطة في شمالها...» (الأعرج، 2010م، ص 78)
«شيئا فشيئا تراخت قبضة النظام الأندلسي على جنوب الأندلس» (الأعرج، 2010م، ص 82)

فالأندلس كانت رمزا للمعاناة والظلم والحرب التي كانت ضدّ المسلمين والمسيحيين.

ج- الكنيسة تعتبر الكنيسة مكان مقدّس إلا أنّ الروائي جعلها رمزا للتعذيب والمعاناة، حيث كانت تمارس العنف على الشعب الأندلسي، وتحارب المورسكيين وتقتلهم.

«مازالت تحت سطوة كنيسة الموت التي عدّبت فيها...» (الأعرج، 2010م، ص 66)
«كان الكثير من السجناء يئنون في الزوايا الخلفية من الطابق الأرضي للكنيسة...» (الأعرج، 2010م، ص 69)

«كانوا يبدوون بسحق عظام الأرجل، ثمّ عظام الصّدر والرّأس واليدين تدريجيّا حتّى يُهشّمَ الجسم...» (الأعرج، 2010م، ص 69)

لقد كان للمكان في رواية " البيت الأندلسي " حضورا قويا. صوره الكاتب بدقة عالية وأعطاه قيمة كبيرة، جعلت القارئ يندمج في فضاء الرواية، ويعيش أحداثها، ويُحسّ بلدّة خاصّة حيالها. حيث استعمل الأماكن التاريخية والرمزية، التي لها

علاقة بالحضارة، والتراث، وبذلك فقد نجح واسيني الأعرج إلى حد كبير في تجريبه لعنصر المكان وبطريقة جديدة ومختلفة عن السابق.

3.4 على مستوى الشخصيات

إنّ الشخصية الروائيّة هي عماد من أعمدة البناء الروائي، ويعرّفها الدكتور عبد المالك مرتاض بأنّها «هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث أنّها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تثبت أو تستقبل الحوار، وهي التي تنجز الحدث، والتي تنهض بدور تقديم الصّراع...وهي التي تعمّر المكان وهي التي تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديد» (مرتاض، 1989م، ص 91).

وبالنسبة للتّجريب على مستوى الشخصيات عند واسيني الأعرج، جعله ينجح في تصوير شخصياته وأبعادها، فهي مستوحاة من صميم الواقع وملابساته التي يعيشها الكاتب، فحين ركّز على الواقع، أكسب الشخصية حيويّتها وفاعليّتها في البناء الروائي.

تتعدّد الشّخصيّات وتختلف أبعادها ودلالاتها في رواية البيت الأندلسي، والشّخصيّات الرئيّسيّة هي:

1-غاليلو الروخو هو سيد أحمد بن خليل، أحد المورسكيين الذين هجّروا عنوة إلى الجزائر «نتيجة لذلك أركب سفينة ثقيلة... متّجها نحو فراغ جديد اسمه وهران» (الأعرج، 2010م، ص 92).

2-مراد باسطا هو من أحفاد غاليلو الروخو، وآخر نسل لسلالة المورسكيين المقيمين بالجزائر «كنت آخر من عرف العلامة. وحفظ السرّ بعد أن اندثر الجميع» (الأعرج، 2010م، ص 31)، ألقى على عاتقه الحفاظ على البيت الأندلسي والمخطوطة التي تحمل تاريخ أجداده المورسكيين وأمجادهم.

3- ماسيكا هي شخصية بارزة في الرواية، وسارده أيضا ينادونها سيكا، وهي من أصول موريسكية: «أنا...سيكا بنت السبنيولية كما سماني أصدقائي ... لان أصولنا موريسكية» (الأعرج، 2010م، ص 07).

كانت ما سيكا تعرف البيت الأندلسي جيدا وتعرف بأمر المخطوطة: «أعتقد أنني كنت الوحيدة بعد مراد باسطا وربما حفيده سليم من تعرف مكان المخطوطة السري» (الأعرج، 2010م، ص 08).

إن ما سيكا تمثل رمز المرأة المحبة التي تساند الرجل في السراء والضراء، ورمز للمحبة والوفاء للوطن والهوية الضائعة.

لقد راهن واسيني الأعرج على تجريب تقنية تكثيف الشخصيات، حاملا لرسالة إنسانية وأدبية، وبهذا وفق الكاتب في توظيف هذه الشخصيات بطريقة فنية من خلال هذه التقنية ليرمز بها إلى تاريخ الشعب المورسكي والوطن والهوية الضائعة منهم. كما نجده اهتم بالجانب الذهني والشعوري للشخصية، كما اهتمت الرواية بكلام وأفكار ومشاعر وذكريات الشخصيات، كما تخلق عن رسم الشخصية من الخارج وركز على الشخصية، وهذا بالغوص في نفسيتها، وهذا ما نجده عند الحداثيين فنجد التجريب عندهم يرتكز على التفاصيل الدقيقة والجزئيات البسيطة للشخصية حتى يوضح لنا أهميتها.

إذن نجد في الرواية الشخصيات أكثر فاعلية وإيجابية، فهي تتميز بالحيوية وهذا ما يدل على التجريب في الرواية الجزائرية.

4. خاتمة

نخلص في ختام هذه الدراسة إلى أن التجريب الروائي ليس كما يظنه البعض مجرد محاولة مراهقة أو هوس لكسر التقاليد والتمرد على جنس الرواية، وإنما هو إبداع وخلق عوالم جديدة ومواضيع جديدة تكون قادرة على الاستجابة للتطورات الحاصلة في المجتمع والساحة الأدبية.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- يعد التجريب في الرواية ممارسة خلاقة قوامه الاختلاف والتفرد والإبداع.

- عمل الروائي المعاصر على تجسيد تقنيات الرواية الجديدة مختلفة عن تقنيات الرواية التقليدية.

- يعد الروائي واسيني الأعرج من الأوائل الذين أحدثوا في كتاباتهم، حيث أعطى اللغة مساحة كبيرة، من خلال ممارسة لعلاقة خاصة معها، والتي جعلته يكسر أسس التقليد، باعتبار أن اللغة عنده أداة إغراء بامتياز كبير.

- استعمل الروائي واسيني الأعرج عنوان رئيسي بسيط تدرج تحته عناوين فرعية، هي بمثابة هوية للنص وتعطي القارئ انطبعا وملحة لما يحتويه النص.

- تتجلى مظاهر التجريب في رواية البيت الأندلسي لواسيني الأعرج من خلال مجموعة من المستويات تتمثل في: مستوى العنوان، مستوى الموضوع والايديولوجيا، مستوى المكان ومستوى الشخصيات الروائية.

5. قائمة المراجع

1. الأعرج، واسيني. (2010م). البيت الأندلسي (ط1). بيروت، لبنان: منشورات الجمل.
2. التريكي، فتحي، والتريكي، رشيدة. (1992م). فلسفة الحدائثة. بيروت، لبنان: مركز الانتماء القومي.
3. الرماني، فراس. (2012م). حلقات التجريب في المسرح. (ط1). عمان، الأردن: دار حامد للنشر والتوزيع.
4. بلقزيز، عبد الإله. (2001م). من النهضة إلى الحدائثة. (ط2). لبنان: بيت النهضة.
5. بن جمعة، بوشوشة. (2003م). التجريب وارتحالات السرد الروائي المغربي. (ط1). تونس: المغاربة للنشر.
6. بوطاجين، السعيد. (2001م). الرواية غدا، الملتقى الرابع لعبد الحميد بن هديقة. (ط1). برج بوعريبيج: دار هومة للنشر والتوزيع.
7. شعبان، هيام. (2004م). السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله. الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع.
8. ضرغام، عادل. (2010م). في السرد الروائي. (ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.
9. ضويو، عبد العزيز. (2014م). التجريب في الرواية العربية المعاصرة، دراسة تحليلية لنصوص روائية حديثة. (ط1). إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
10. مداس، أحمد. (2007م). لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري. (ط1). إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.
11. مرتاض، عبد المالك. (1989م). في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد-. بيروت، لبنان: عالم المعرفة.